**تدبر القرآن الكريم**

**قواعد – وعوائق - وثمرات**

**د. محمد محمود كالو**

**جامعة أديمان - تركيا**

## Özet

## Kuran Üzerinde Düşünmek: Kurallar, Engeller Ve Yararları

Allah'a hamd olsun, O bize yeter. Peygamberimiz'e, O'nun al ve ashabına selam ve salat olsun.

Kur'an üzerinde konuşmak ve düşünmek (tedebbür) büyük ve şerefli bir iştir. Muhakkak ki Kuran, Allah'ın insanlara bir hitabıdır ve insanların sorularının cevabı ise Kuran'da mevcuttur. Kuranı en güzel şekilde tefsir etmeye çalıştığımızda bunun anlamını ve karşılığını buluruz.

Bu konunun önemi, insanların Kuran üzerinde düşünmeleri ve O'nun yüksek hikmetini anlamaları ve kavramaları içindir. Allah bunu Kuranda şöyle ifade ediyor: "O'nda akıl sahiplerinin üzerinde düşünecekleri ve akıl yürütecekleri ayetler vardır".

Bu araştırmanın amacı, selef ulemasının Allah'ın kitabı (Kur'ân) üzerine yaptıkları çalışmalarda takip ettikleri bazı kurallar üzerinde derinlikli bir çalışmanın nasıl yapılabileceği üzerinde durarak Kur'ân'ı daha doğru anlayabilmeye katkı sunabilmektir. Çünkü bu tür kurallar, birçok araştırmacının gözden kaçırdığı hususlar olabilir. Bu nedenle Kur'ân üzerinde tedebbür etmek, Kuranda bulunan öğütlerin üsluplarından anlamlar çıkarmak ve böylece ayetler arasında kurulan korelasyon ile anlamlı sonuçlara varabilmek önemlidir. Böylece Kurandan ve O'nun o yüce belağat ve uslûbuna uygun hükümleri çıkarmamız belki daha kolay ve mümkün olur.

Bu makale, giriş, dört bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır.

Birinci bölüm: Tedebbürün Arap dil ve beyan kurallarına göre kurallarını ortaya koymak،

İkinci bölüm: Hadislerde ve Hz. Peygamberin hayatında tedebbürün pratiğini araştırmaya çalışmak،

Üçüncü bölüm: Esbâb-ı Nüzûl ve diğer sebeplerin etkisi ile oluşan tedebbürün kurallarını vermeye çalışmak،

Dördüncü bölüm: Kuranın bugüne nazil oluşu ve pratiği üzerinde tedebbür etmek.

Sonuç: Araştırmanın özü ve çıkarılabilecek özetini sunmak.

**Anahtar Kelimeler:** Kur'an-ı Kerim, kurallar, kısıtlamalar, fayda düşünmek.

## Abstract

**Ponder on the Qur'an: Rulers and Obstacles and Benefits**

Praise be to Allah, and He is enough us. And blessings be upon our Prophet Mustafa, and his family and his companions Eminent, either:

The talk about thinking on the Koran that great speech, because the Koran speech God of creation, and mediate about their answer, and if the interpretation of the Koran tells of meaning, the forethought tells its impact on self and life.

The importance of this research for reflection that the great wisdom of landing the Koran to understandings humans, and consider including the verses of al-Hakim and remembrance, so God said) لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ :that they may ponder its revelations, and that men of understanding may reflect) and learn a lesson Koran owner of minds and intellect.

This research aims to more deeply into some of the rules that were are used by the good ancestor in their dealings with the book of God, which can be used in managing the Koran, and that because of negligence many of them or some of them are not affected nor benefit, including the verses and sermons and parables and governance For this study was forethought and devise methods where necessary cues so we can Nestle verses from the folds of the lessons and benefits, and seize governance and Arts, and the consequent of a sermon and remember, as extract them jokes explanatory, and method rhetorical style.

The research was divided after submitted to pave the four sections and a conclusion include the most important results, as follows:

Introduction: It includes the definition of vocabulary, and conditions of forethought and drawbacks and its achievement, and the most appropriate division of management.

First topic: the rules of forethought to know the language of the Arabs and their methods charts. The second topic: the study of rules enacted by the forethought and his peace be upon him. The third topic: the rules of forethought know the reasons go down, events and facts. The fourth topic: the rules of forethought take down the Koran on the reality of the nation and issues.

Conclusion: These include the search results.

And ask God to make him purely for Allah's sake, he listens and responds.


**Keywords:** ponder, the Koran, rules, constraints, benefits.

## ملخص بحث

## تدبر القرآن الكريم، قواعد – وعوائق – وثمرات

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى، وعلى آله وأصحابه الشرفا، أما بعد:

فإن الحديث عن تدبر القرآن الكريم حديث جليل، لأن القرآن خطاب الله تعالى للخلْق، والتدبر جوابهم عنه، وإذا كان تفسير القرآن يخبر عن معناه، فإن التدبر يحكي أثره في النفس والحياة.

وتأتي أهمية هذا البحث عن التدبر أن الحكمة البالغة من إنزال القرآن الكريم ليتدبره المؤمنون، ويعتبروا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي وليتعظ بالقرآن أولوا العقول والنهى.

يهدف هذا البحث إلى مزيد من التعمق في بعض القواعد التي كان يسلكها سلفنا الصالح في تعاملهم مع كتاب الله، والتي يمكن بها الانتفاع في تدبر القرآن الكريم، والتي بسبب غفلة الكثيرين عنها أو بعضها أصبحوا لا يتأثرون ولا ينتفعون بما فيه من الآيات والعظات، والأمثال والحكم، ولهذا كانت دراسة التدبر وأساليب استنباط العظة ضرورياً حيث بذلك يمكن لنا أن نستلَّ من ثنايا الآيات العبر والفوائد، ونقتنص الحكم والآداب، وما يترتب على ذلك من عظة وتذكر، كما نستخرج منها نكتاً تفسيرية، وأساليباً بلاغية راقية.

وقد قسمتُ البحث بعد المقدمة إلى تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة تشمل أهم النتائج، على الشكل التالي:

تمهيد: ويشتمل على تعريف المفردات، وشروط التدبر وعوائقه وثمراته، والتقسيم الأنسب للتدبر.

المبحث الأول: من قواعد التدبر معرفة لغة العرب وأساليبهم البيانية.

المبحث الثاني: من قواعد التدبر دراسة سنته وسيرته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: من قواعد التدبر معرفة أسباب النزول والمناسبات والوقائع.

المبحث الرابع: من قواعد التدبر إنزال القرآن على واقع الأمة وقضاياها.

الخاتمة: وتشمل نتائج البحث .

والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.


**كلمات مفتاحية:** تدبر، القرآن، قواعد، عوائق، ثمرات.

# تدبر القرآن الكريم

## قواعد – وعوائق – وثمرات

**د. محمد محمود كالو**

**جامعة أديمان – تركيا**

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة:**

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى، وعلى آله وأصحابه الشرفا، أما بعد:

فإن الحديث عن تدبر القرآن حديث جليل، لأن القرآن الكريم خطاب الله تعالى للخلْق، والتدبر جوابهم عنه، وإذا كان تفسير القرآن يخبر عن معناه، فإن التدبر يحكي أثره في النفس والحياة.

وتدبر القرآن واجب على الأمتيْن، أمة الدعوة وأمة الاستجابة، فالمؤمنون بفضل الله تعالى يتأملون آيات الله فتقشعرُّ جلودهم خوفاً من الوعيد، ثم تلين جلودهم عند سماع الوعد؛ لما يرجون من رحمته.

أما الكافرون فإنهم أعرضوا عن التدبر فكانوا كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1].

**أهمية البحث:**

تأتي أهمية هذا البحث عن التدبر أن الحكمة البالغة من إنزال القرآن الكريم ليتدبره المؤمنون، ويعتبروا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، فتورثهم ذكرى، وخوفاً وخشية، وثمرة التدبر هي التذكر، والاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، ولذلك أعقب التدبر حصول أثره، فليس بعد التدبر إلا حصول الذكرى لأولي الألباب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

1. النحل:33.

آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1] أي وليتعظ بالقرآن أولوا العقول والنهى، ولا شك أنها علة عظيمة تقود إلى كل فلاح وفوز في الدنيا والآخرة.

وتدبر القرآن لا يقف بالمؤمن عند مجرد السماع والتأثر، بل يتعدى إلى العمل والاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا أصل عظيم من أصول التدبر، ولهذا فقد ذمَّ الله تعالى اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لا يعملون به.

قال ابن عطية: "وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن، فالترتيل إذاً أفضل من الهذِّ إذ التدبر لا يكون إلا مع الترتيل"[2].

وقال القرطبي: " حثَّ على تأمل مواعظ القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبالُ – مع تركيب العقل فيه – لانقادت لمواعظه، ولَرأيتَها – على صلابتها ورزانتها – خاشعةً متصدعةً، أي: متشققة من خشية الله "[3] .

**هدف الدراسة:**

هذا البحث يهدف إلى مزيد من التعمق في بعض القواعد التي كان يسلكها سلفنا الصالح في تعاملهم مع كتاب الله، والتي يمكن بها الانتفاع في تدبر القرآن الكريم، والتي بسبب غفلة الكثيرين عنها أو بعضها أصبحوا لا يتأثرون ولا ينتفعون بما فيه من الآيات والعظات، والأمثال والحكم، ولهذا كانت دراسة التدبر وأساليب استنباط العظة ضرورياً

1 - ص: 29.

2 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف بتفسير ابن عطية الأندلسي، دار ابن حزم 1423هـ:1598.

3 . الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد بن احمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ 2006م: 388/20.

حيث بذلك يمكن لنا أن نستلَّ من ثنايا الآيات العبر والفوائد، ونقتنص الحكم والآداب، وما يترتب على ذلك من عظة وتذكر، كما نستخرج منها نكتاً تفسيرية، وأساليباً بلاغية راقية.

**الدراسات السابقة:**

وقد وقفتُ على بعض الكتابات في هذا الموضوع لبعض العلماء السابقين ما بين كتاب مطبوع أو بحث منشور، من ذلك:

1 – قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حسن حبنكة.

2 – مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، نخبة من المتخصصين.

3 – تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، رقية طه العلواني.

4 – مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد بن عبد الكريم اللاحم.

5 – فن التدبر في القرآن الكريم، عصام بن صالح العويد.

6 – تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي.

7 – تعليم تدبر القرآن الكريم أساليب عملية ومراحل منهجية، هاشم بن علي الأهدل.

وقد استفدت من جميع هؤلاء في كتابة البحث، ولولا هذه المراجع وغيرها لما قام هذا البحث على سوقه.

**خطة البحث:**

في هذه الدراسة المتواضعة حاولت إبراز بعض القواعد المهمة لتدبر كتاب الله تعالى، وقد قسمتُ البحث بعد هذه المقدمة إلى تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة تشمل النتائج، على الشكل التالي:

**تمهيد:** ويشتمل على تعريف المفردات، وشروط التدبر وعوائقه وثمراته، والتقسيم الأنسب للتدبر.

**المبحث الأول:** من قواعد التدبر معرفة لغة العرب وأساليبهم البيانية.

**المبحث الثاني**: من قواعد التدبر دراسة سننه وسيرته صلى الله عليه وسلم.

**المبحث الثالث**: من قواعد التدبر معرفة أسباب النزول والمناسبات والوقائع.

**المبحث الرابع**: من قواعد التدبر إنزال القرآن على واقع الأمة وقضاياها.

**الخاتمة:** تشمل نتائج البحث.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

**تمهيد:**

لا بدَّ قبل الولوج في ذكر هذه القواعد، أن أمهد بإشارة مختصرة، بتعريف مفردات عنوان البحث، (وهي القواعد، والتدبر)، وبيان شروط التدبر وعوائقه وثمراته، وتوضيح التقسيم الأمثل للتدبر، فأقول:

**أ . تعريف المفردات:**

**. القواعد** جمع قاعدة، اسم فاعل وأصلها اللغوي يعود إلى مادة (قعد)، وهي . كما يقول ابن فارس . : أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ لا يُخْلَفُ ... وَقَوَاعِدُ الْبَيْتِ: أَسَاسُهُ، وقوَاعِدُ الهوْدَجِ: خَشَبَات أرْبع، معْتَرَضَات في أسْفَله"[1]

ولهذا يقال: "الْقَاعِدَة: أصل الأسِّ، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿وإذْ يَرْفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِنَ البَيتَ وَإِسْمَاعِيل﴾، وَفِيه: ﴿فَأتى اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِد﴾ قَالَ الزّجاج: الْقَوَاعِد: أساطين الْبناء الَّتِي تَعْمِده، وقواعد الهَوْدج: خَشَبَات أرْبَع، معْتَرِضَة فِي أسْفَلِه، قَدْ رُكِّبَتْ فِيهِن " [2].

وبناء على هذا فالقواعد: هي الأصول التي تنبني عليه مسائلُه وفروعُه.

1 . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر (د.ت): 108/5.

2 . المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وغيره، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، 1377هـ 1958م: 96/1، وتيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1350هـ: 15/1.

والقاعدة اصطلاحاً: "قَضِيَّة كُلية منطبقة على جزئياتها"[1] .

**. أما التدبُّر**: فـ"هو آخر الشيء، وخَلْفَه خلاف قبله" [2] .

ويقال: "دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّرَهَ: نَظَرَ في عاقِبَتِه، واسْتَدْبَرَه: رَأَى في عاقِبتِه ما لَمْ يَرَ في صَدْرِه، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّراً: أي بأُخَرَةٍ، قالَ جَرِيرٌ[3]:

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتّى يُصِيبَكُمْ     ولا تَعْرِفُونَ الأَمْرَ إلا تَدَبُّراً

قال الزبيدي: " وَقيل: التَّدَبُّر: التَّفكُّر، أَي: تَحْصِيل المعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثَالِثَة "[4] .

هكذا حكاه الزبيدي بصيغة التمريض، ولعل ذلك لوجود فرقٍ بينهما، كما أبانه أبو هلال العسكري في فروقه، حيث قال: "الْفرق بَين التفكير والتدبر: أَن التدبر تصرف القلب بِالنّظرِ فِي العواقب، والتفكر تصرف القلب بِالنّظرِ فِي الدَّلائِل" [5] .

والتدبر من الكلمات الواردة في القرآن الكريم على أصل معناها اللغوي ولم تنتقل إلى أصل شرعي جديد، وهذا حال أغلب كلمات القرآن.

وقال ابن عطية: "والتدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء، هذا كله يقتضيه قوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[6] وهذا أمر بالنظر والاستدلال" [1] .

---

1 . التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، طبعة 1985م، بيروت: 177.

2 . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر (د.ت): 324/2.

3 . لسان العرب، محمد بن مكرم المشهور بابن منظور، دار صادر، بيروت (د.ت)، مادة (د ب ر).

4 . تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، 1393هـ 1972م: 265/11.

5 . الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة (د. ت): 75.

6 . سورة محمد: 24.

وقال الخازن: "أصل التدبر: النظر في عواقب الأمور والتفكر في أدبارها، ثم استعمل في كل تفكر وتأمل، ويقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته، ومعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه، وتفكر في حِكَمِه وتبَصُّرُ ما فيه من الآيات"[2].

قال ابن القيم: " وتدبُّر الكلام : أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظرَه مرةً بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعُّل، كالتفهُّم والتبيُّن " [3].

قال عبد الرحمن حسن حبنكة: "التدبر هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة "[4]

أما بإضافة كلمة التدبر للقرآن الكريم فيمكن الخروج بتعريف لكلمة التدبر اصطلاحاً بأنه: تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والاعتبار.

**ب . شروط التدبر:**

إن الحث على التدبر عام لجميع الخلق دون استثناء، لأن الله يسَّره للذكر، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [5] وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[6] فلم يخص الباري جل جلاله ذلك بأهل العلم دون غيرهم، إلا أن الناس متفاوتون في التدبر والفهم، فمنهم من يفهم من الآية حُكْماً أو حُكْميْن، ومنهم من يفهم عشَرة أحكام أو أكثر، ومنهم من يقتصر فهمه على مجرد اللفظ، وألطف من ذلك ضَمُّ الآية إلى نص متعلق به فيفهم من الاقتران فهم زائد، وهذا باب عجيب في تدبر القرآن الكريم لا يحسنه إلا

---

1 . تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم (د. ت): 459.

2 . تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد البغدادي الصوفي، دار الفكر، بيروت 1399 هـ 1979 م: 563/1.

3 . مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم وغيره، دار زمزم (د.ت): 183/1.

4 – قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة 1430هـ 2009م : 10

5 . القمر: 17.

6 . ص: 29.

الحاذق النادر من أهل العلم، كما فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قولَه تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[1] مع قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[2] أن المرأة قد تلد لستة أشهر، حيث " أُتِي عثمان رضي الله عنه بأمرأة قد ولدت لستة أشهر؛ فأراد أن يقضي عليها بالحدّ؛ فقال له عليّ رضي الله عنه: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[4]، فالرضاع أربعة وعشرون شهراً والحمل ستة أشهر، فرجع عثمان عن قوله ولم يحدَّها"[5].

وكما فهم بعض الصحابة رضي الله عنهم من آية الفرائض في أول سورة النساء وآخرها أن الكلالة: من لا ولد له ولا والد.

هذا وتنحصر شروط التدبر في ثلاثة أمور:

**الأول**: وجود المحل القابل (القلب الحي).

**الثاني**: العمل الذي يصدر من المكلف ( القراءة أو الاستماع مع حضور القلب).

**الثالث**: قدر من الفهم للكلام المقروء أو المسموع.

وقد جَمَعَتْ آيةٌ في كتاب الله تعالى هذه الشروط، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[6].

---

1 . الأحقاف: 15.
2 . البقرة: 233.
3 . الأحقاف: 15.
4 . البقرة: 233.
5 . الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي:19/ 195.
6 . ق: 37.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] إلا أربع سنين"[2].

ولا ريب أن هذا العتاب الإلهي مضمونه: الدعوة إلى التفكر والتدبر في آثار ما تحدثه قراءة القرآن في قلوبهم؛ إذْ الأصل أن يكون له أثر على لين القلب، وخشيته، ودمع العين، وهو أيضاً تحذيرٌ من أن يكون حظهم من القرآن مجرد تلاوة لا تدبر فيها، وإلا فإن النتيجة المحتومة، هي قسوة قلوبهم كما قست قلوب من سبقهم.

قال الخازن في تفسيره: " وتدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور القلب، وجمع الهم وقت تلاوته، ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف، وخلوص النية"[3].

ومن صور الوقوف على تدبر القرآن تكرار الآية، فقد قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه " قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [4]

وجاءت نقول كثيرة عن السلف في ترديدهم لبعض الآيات وتدبرها والتفكر فيها حتى نادى منادي السحر.

وهذا تميم الداري رضي الله عنه قام بآية حتى أصبح: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [5].

---

1 . الحديد: 16.

2 . أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، برقم: 3027.

3 . تفسير الخازن، علي بن محمد البغدادي:182/6.

4 . المائدة: 118 ، والحديث رواه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، برقم:1350.

5 . مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دار البيان، بيروت، 1398هـ 1978م: 53، والآية من سورة الجاثية:21.

وعن عباد بن حمزة قال دخلتُ على أسماء وهي تقرأ ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[1] قال: فوقفتْ عليها فجعلتْ تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيتُ حاجتي ثم رجعتُ وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو"[2].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " لا تَهُذُّوا القرآن هذَّ الشِّعر، ولا تنثروه نثر الدَقَل، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدِكم آخرَ السورة "[3].

أي لا ترموا بكلماته من غير روية وتأمُّل كما يرمى الدقل . بفتحتين . وهو رديء التمر فإنه لرداءته لا يحفظ ويلقى منثوراً.

وقال ابن قدامة رحمه الله: " وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها"[4].

**ج . من عوائق التدبر**: ولكي يحصل التدبر التام فلا بد من إزالة العوائق المانعة وهي:

**أولاً**: ترك التدبر تقليداً: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[5] فلو جاءهم ما جاء آباءهم الأولين لآمنوا به، وهذا مانع من التدبر من خارج النفس.

**ثانياً**: ترك التدبر عناداً: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[6] وهذا مانع من التدبر من داخل النفس.

---

1 . الطور: 27.

2 . المصنف، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، كتاب صلاة التطوع والإمامة وأبواب متفرقة، باب الرجل يصلي فيمر بآية رحمة أو آية عذاب، برقم: 667.

3 . زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة 1418هـ 1998م:329/1.

4 . مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي: 53.

5 . المؤمنون: 68.

6 . سورة محمد: 24.

**ثالثاً:** ترك التدبر إنشغالاً بالدنيا، فالقلوب لاهية غافلة، إنهم يستمعون القرآن بآذانهم، ولكنه لا يصل إلى قلوبهم؛ لانشغالها بأمور أخرى، قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [1].

**د . ثمرات التدبر:**

1 . حصول اليقين في القلب، كما قال تعالى: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [2]، فمن قرأ القرآن بتدبر وتأمل حصل له الهدى واليقين التام؛ لأن القرآن كالماء العذب، والقلب كالشجرة التي لا تستطيع أن تعيش وتنمو إلا بهذا الماء، فالقلب كلما تفكر في معاني كلام الله حصل له الري والشبع، والنمو والاستقرار.

2 . زيادة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [3]، وإنما ازداد المؤمنون إيمانًا بسبب فهمها، واعتقاد ما فيها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، ثم مع ذلك مستبشرون.

أما المنافقون، ومن في قلوبهم مرض؛ فبسبب إعراضهم عن الفهم والتدبر يسأل بعضهم بعضًا أيُّكم زادته هذه إيمانًا؟!

3 . الهداية إلى العلم الصحيح، ودفع أمراض القلوب والأبدان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾ [4] ، أي هذا القرآن يهدي المؤمنين إلى ثمرة

---

1 . الأنبياء: 2-3.
2 . الجاثية: 20.
3 . التوبة: 124.
4 . فصلت: 41.

العلم الصحيح النافع، ويدفع عنهم أمراض القلوب والأبدان، فلا يكون في قلوبهم شك ولا ريب؛ لأنهم فهموا مراد الله تعالى.

4- معرفة حقيقة الدنيا، وأنها ظل زائل، وكثيرها قليل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

5- الاعتصام بحبل الله والاجتماع بعد التفرقة والتشرذم، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

6- الشعور بالأمن والهداية، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3].

7- حصول الخشية ولين القلوب من ذكر الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[4]، فبسماع آيات الله، يحصل للقلوب قشعريرة وخشية، وينتج عن ذلك لين واطمئنان وهداية.

---

1 . يونس: 24.
2 . آل عمران: 103.
3 . الأنعام: 82.
4 . الزمر: 23.

**هـ . التقسيم الأنسب للتدبر:**

هناك تقسيم بالنسبة للمتدبِّر، وآخر بالنسبة للمتدبَّر، فالأول: يقسم إلى تدبر العلماء، وتدبر الفقهاء، وتدبر أهل اللغة والبيان، وتدبر العبّاد والصالحين، وتدبر عامة المسلمين، وتدبر حديثي العهد بالإسلام، وتدبر الكفار، وتدبر المنافقين، وغيرهم.

أما الثاني: فيقسم بحسب الموضوعات (المتدبَّر): كتدبرات العقيدة، وتدبرات الأحكام، وتدبرات الأخلاق، وتدبرات اللغة، وتدبرات التربية، ونحو ذلك، وهذا التقسيم هو الأنسب لمقاصد التدبر في القرآن الكريم، لأنه الأقرب لتحقيق تلك المقاصد، وآيات التدبر تُشعر بذلك قال الله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [1].

**قواعد في تدبر القرآن الكريم:**

إن التدبر يستحق أن يكون علماً مستقلاً بذاته؛ منفصلاً عن علوم القرآن، بل من العلوم المعاصرة التي تُفرَد لها المؤلفات والكتابات الخاصة، كما يستحق أن تنشأ له المؤسسات التربوية، شأنها في ذلك شأن مراكز تحفيظ القرآن الكريم، وهو علم يستحق أن يطبق عليه منهج المواد المدرسية المنفصلة.

وينبغي على المتدبِّر حتى يقطف ثمار تدبره أمور منها: الإخلاص، والاستعداد النفسي للتدبر، والدعاء بأن يرزقه الله التدبر، وأن يتأنى في القراءة ولا يستعجل، وأن يكرر الآية عدة مرات ففي كل مرة يفتح الله عليه فتحاً جديداً، وأن يعتبر المتدبِّر نفسه المقصود بكل خطاب في القرآن الكريم وليس غيره.

والقواعد التي تعين على التدبر السليم لكتاب الله تعالى كثيرة منها:

1 . سورة محمد: 24.

**المبحث الأول: معرفة لغة العرب وأساليبهم البيانية،** لا يخفى أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وبلسانهم، وهو لا يُفهَم إلا بِفهْم ما به نزل، ولذلك اهتم أهل العلم كافة بمعرفة لغة العرب، ولن يؤتي التدبر أُكُلَه، وتنضج ثمرته، إلا إذا اعتنى المتدبِّر باللغة التي نزل بها هذا القرآن الكريم.

فإذا كانت المفردة القرآنية من غريب الألفاظ؛ استعان المتدبِّر بكتب التفسير أو كتب غريب القرآن، ثم يتدبر سرَّ اختيار المفردة القرآنية دون ما سواها والتي يُظنُّ لأول وهلة أنها مترادفة من كل وجه، فقد اعتنى كثير من المفسرين بهذه الأسرار الدقيقة، فإن من فهمها وتدبرها يجد في قراءته للقرآن الكريم لذة لا يمكن وصفها.

ومن أمثلة ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿ألم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [1]، وكلمة (**أدنى**) لها عدة معان في القواميس، منها: "أقرب، وأخفض، وأحقر"، وقد تحققت المعاني كلها في الآية الكريمة، فأرض فلسطين هي "**أقرب**" الأراضي إلى جزيرة العرب، وفيها "**أخفض**" نقطة عن سطح البحر في الأرض كلها، إنها أغوار البحر الميّت 392م، كما يمكن أن يقال بأنها " **أحقر**" الأراضي، لأن منطقة البحر الميت هي مساكن قوم لوط؛ وهي أرض محقرة حتى عند اليهود، ولهذا رضوا بأن يتخلوا عنها لما يسمى بالسلطة الفلسطينية.

وكذلك كلمة ( **الجلود**) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2]، فلم يقل الباري جلّ جلاله: بدلناهم عظاماً غيرها؛ أو لحوماً غيرها، لأن الجلد مركز الإحساس في جسم الإنسان، فمن كشط جلده لا يحس بالألم والعذاب والحرارة، لذلك قال الله تعالى: ﴿ **لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ**﴾.

---

1 . الروم: 1- 4.

2 . النساء: 55.

وقد قال الزمخشري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[1]:

"القطران: فيه ثلاثة لغات: قَطِران، وقِطْران، وقَطْران: بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء، وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ، فتهنأ به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحرّه وحدّته، والجلد، وقد تبلغ حرارته الجوف، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرج به، وهو أسود اللون منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص؛ لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح"[2].

فكل لفظة من ألفاظ القرآن تم اختيارها بميزان دقيق، أدق من ميزان الذهب والفضة، ومن لا يعرف اللغة العربية وألفاظها وأساليبها لا يستطيع أن يفهم – مثلاً – قوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾[3] ، ولا يمكنه أيضاً أن يفرق بين قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾[4] و(نعبدك) أو (نعبد إياك) ونحو ذلك من الأساليب العربية.

إن " عدم فهم دلالة الكلمة يؤدي إلى خطأ كبير في تأويل القرآن، ولذا لما لم يدْرِ عمرو بن عبيد المعتزلي ما هو (الوعد) عند العرب؛ ظن أن إخلاف الوعد أو الوعيد واحد: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[5] فزعم أنه لا يجوز لله عز وجل أن يخلف وعيده فإذا توعَّد الله أحداً كما في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[6] أو قوله: ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ

1 . إبراهيم: 50.

2 . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: أحمد عادل وغيره، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1418هـ 1998م: 394/3.

3 . يوسف:82.

4 . الفاتحة:4.

5 . الروم:6.

6 . الهمزة:1.

الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] فلا بدَّ أن يعذبهم ولا يعفو عنهم وإلا كان ذلك كذباً وإخلافاً للوعد.

كذا قال، وهذا غلط في فهم الفرق بين (الوعد) و(الوعيد) في اللغة التي نزل بها القرآن، فالله لا يخلف وعده وهو: أن يعده بالخير، أما الوعيد وهو: الإيعاد بالعقوبة فإخلافه ممدوح ويسمونه عفواً وصفحاً لا خُلْفاً وكذباً" [2].

وهناك من الناس من يفهم من الآية معنى سريعاً صحيحاً، ولكن بالتأمل يحصل على معنى زائد آخر، كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[3] فالفهم السريع لكلمة ( انتبذت) هو ابتعدت وخرجت عن قومها لتتفرغ لعبادة ربها أو لحاجة لها، وهو فهم صحيح، لكن الآية تدل على ما هو أبلغ من هذا، فإننا إذا تأملنا الكلمة نجد أن لها معنى آخر بعيداً وزائداً يدل على أن خروج مريم لم يكن خروجاً عادياً، بل هو خروج شديد فيه طرح واعتزال، ونبذ لقومها، فكأن أهلها وقومها شيء منبوذ غير مرغوب فيهم بالنسبة لها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً﴾[4]، قال مجاهد: (عِتِيّاً) بمعنى: نحول العظم.

وقال ابن زيد: العتي: الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: " والعُتِيّ – بضم العين– في قراءة الجمهور: مصدر عتا العود إذا يبس، وهو بوزن فعول أصله عُتُوٌّ، والقياس فيه أن تصحح الواو لأنها إثر ضمّة ولكنّهم لما استثقلوا توالي ضمتين بعدهما واوان وهما بمنزلة – ضمتين – تخلصوا من ذلك الثقل بإبدال ضمّة العين كسرة، ثم قلبوا الواو الأولى ياء لوقوعها ساكنة إثْرَ

---

1 . النور:23.

2 . المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، عصام بن صالح العويد، مركز التدبر للاستشارات التربية والتعليمية، الرياض، الطبعة الأولى 1430هـ2009م :49.

3 . مريم :16.

4 . مريم :8.

كسرة، فلما قلبت ياءً اجتمعت تلك الياء مع الواو التي هي لام، وكأنهم ما كسروا التاء في عتي بمعنى اليبس إلاّ لدفع الالتباس بينه وبين العُتوّ الذي هو الطغيان فلا موجب لطلب تخفيف أحدهما دون الآخر.

شبَّه عظامَه بالأعواد اليابسة على طريقة المكنية، وإثباتُ وصف العُتي لها استعارة تخييلية"[1].

أي وقع لنبي الله زكريا عليه السلام كِبَرٌ في السن مبالغ فيه، حتى انحلت منه عظامه، وييست يبوساً شديداً، فهو يتضرع إلى ربه بضعفه الشديد، حتى يبس منه العظم، فأصبح بدنه بلا رطوبة ينتج منها ماء الولد، فكيف له مع ذلك بالولد؟!

وهذا مثال آخر من قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[2] فحينما نتأمل كلمة (فَأَجَآءَهَا) فإن أصلها (جاء) ولو وردت هكذا كان المعنى أن المخاض جاءها، وهذا جزء من المعنى المقصود، فدخلت همزة التعدية لتضيف لها معنى جديداً آخر زائداً على المجيء، وهو أن المخاض ألجأها إلى جذع النخلة، فلم يكن هذا المجيء على سبيل الاختيار؛ بل هو على سبيل الاضطرار، ولهذا قال المفسرون: {أجَاءها} معناه: ألْجأها، وهذا من عظيم إدراكهم لمعاني القرآن الكريم.

لذلك يقول الزجاج: "وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأن كتاب اللَّه ينبغي أن يتبين، ألا ترى أن اللَّه يقول: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾؟ فحُضِضْنَا على التدبر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة أهل العلم"[3].

ويقول العز بن عبدالسلام: "لا يتأتى تدبر القرآن وفهم معانيه إلا بمعرفة ذلك" [1] أي: بمعرفة اللغة العربية.

---

1 . تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، 1984م:71/16.

2 . مريم :23.

3 . معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1408هـ 1988م:185/1.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[2] .

ويقول أيضاً: "والقرآن نزل بلغة العرب، فلا يجوز حمله على اصطلاح حادث ليس من لغتهم، لو كان معناه صحيحاً، فكيف إذا كان باطلاً في العقل؟!"[3] .

إلا أنه لا يُطلب من كل قارئ للقرآن الكريم أن يكون عالماً باللغة العربية نحوياً كسيبويه والأخفش، بل المطلوب أن يحصل قارئ القرآن على الحد الذي يُمكِّنه من فهم كتاب الله تعالى وتدبره.

ومن الغريب أن نجد بعض الناس يتوقف تفاعله مع عبادة التدبر عند حدِّ السماع لأهميته وفضائله؛ لأنه يشعر أن بينه وبين التدبر مسافاتٍ شاسعة حتى يكون أهلاً لممارسته، والتنعمِ بآثاره، فيظن أنه لا بد من أن يكون على علمٍ بتفسير أيّ آية يتدبرُها، بل ربما خُيِّل إليه أنه لا يجوز أن يتدبر حتى يكون بمنزلة العالِم المفسِّر الذي يشار إليه بالبنان، فكم حَرَمَ هذا الظنُّ فئاماً من الناس من لذة التدبر ومتعتِه، وحلاوةِ التأمل في الكتاب العزيز! وكم فاتهم بسببه خير عظيم!

ولا شك أن الدافع الذي منعهم من الاقتراب من روضة التدبر هذا دافعٌ شريف، وهو الخوف من القول على الله بغير علمٍ، ولكن الشأن هنا ليس كذلك، فهناك فرق بين التدبر والتفسير من جهة المعنى، ذلك أن دائرة التدبر أوسع من التفسير من جهة أن التدبر هو إعمال النظر في مآلات الألفاظ والمعاني.

---

1 . طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو وغيره، دار إحياء الكتب العربية (د.ت): 252/8.

2 . اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، (د.ت): 527/1.

3 . درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية، 1411هـ 1991م: 7/6.

قال ابن هبيرة: "ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن، لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعاً"[1].

إن فهم الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والعلم بالله واليوم الآخر لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية، فمعظم القرآن بيِّنٌ واضح ظاهر يدرك معناه الصغير والكبير، والعالم والأمي، فحينما سمع الأعرابي قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2] قال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم.

وحينما أخطأ إمامٌ في قراءة آية النحل: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[3] قرأها (مِن تحتهم) صوَّب له خطَأَه امرأةٌ عجوز لا تقرأ ولا تكتب.

إن القرآن بيِّن واضح، وفهمه وفقهه وتدبره ليس صعباً بحيث يُغلق المرء عقله؛ ويُعلق فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير، فهذا مفهوم خاطئ، ومدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به، ففهم القرآن نوعان[4]:

**النوع الأول**: يدخل فيه تفسير الغريب، واستنباط الأحكام، وأنواع الدلالات، وهو الذي يختص بأهل العلم على تفاوت مراتبهم.

---

1 . الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى 1425هـ2005م: 156/2.

2 . الذاريات: 23.

3 . النحل: 26.

4 . قواعد وضوابط التدبر، عمر بن عبد الله المقبل، بحث منشور على الشبكة، موقع المسلم: http://www.almoslim.net/node/139579

**والنوع الثاني**: هو الذي ينتج عن تأملِ قارئ القرآن لما يمرُّ به من آيات كريمة، يعرف معانيها، ويفهم دلالاتها، بحيث لا يحتاج معها أن يراجع التفاسير، فيتوقف عندها متأملاً؛ ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، إن كان من أهلها حمد الله، وإلا حاسب نفسه واستغفر.

**المبحث الثاني**: **دراسة سنته وسيرته صلى الله عليه وسلم،** لأنه كان الترجمان الحقيقي للقرآن الكريم، وكان خلقه القرآن، بل كان قرآناً يمشي على الأرض، فهو المبيِّن لمجمله، والموضِّح لمشكله، وإذا كان الأمر كذلك، فإن تدبر القرآن وفهمُه لا يتأتَّى إلا بالرجوع إلى ما ثبت من سيرته وما صح من سنته صلى الله عليه وسلم، فكانت حياته كلها قولاً وفعلاً وإقراراً من حين مبعثه إلى وفاته بياناً لهذا القرآن.

ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أُشكِل عليهم، وكان جلُّ تفسيره بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق، أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه.

ويفهم من هذا أنه صلى الله عليه وسلم اقتصر على بيان المعاني الضرورية التي لا تحتمل التأخير، أو التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريقه، وترك ما سوى ذلك للأمة ليعملوا عقولهم في التدبر والتفكر، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ... الحديث[1].

قال الزمخشري في الفائق: "ولم يزل الموثوقُ بهم من علماء الأمة يستنبطون معاني التنزيل، ويستثيرون دفائنه، ويغوصون على لطائفه، وهو الحمّالُ ذو الوجوه، فيعود ذلك تسجيلاً له ببعد الغور، واستحكام دليل الإعجاز"[2].

وقد قسم الطبري – رحمه الله – التأويل إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول:

---

1 . صحيح البخاري، كتاب العلم باب كتابة العلم برقم:111.

2 . الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي (د.ت):357/3.

"ما لا يوصل إلى علم تأويلِه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمرِه، واجبِه وندبِه وإرشاده، وصنوف نهيه، وووظائف حقوقِه، وحدودِه، ومبالغِ فرائضِه، ومقادير اللازم بعضَ خلقِه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكامِ آيِهِ التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأويلَه، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبَها دالَّة أمَّتَه على تأويله"[1].

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان فعله وقوله وأخلاقه كلها بيان للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

وكانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم صدقٌ كلها؛ حتى عُرِف في مكة بالصادق الأمين، ولذلك عندما سأل سعد بن هشام عائشةَ رضي الله عنها: يا أمَّ المؤمنين أنبئيني عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:ألستَ تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى قالت: "فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[3].

فمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته العظيمة تفسير منه عليه الصلاة والسلام للقرآن، أما البيان القولي اللفظي الظاهر، بمعنى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم معنى الآية كذا، فهذا قليل.

مثال ذلك ما أخرجه الشيخان، عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حوسب عُذِّب) قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾[4]؟ قال: (إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك) [5].

---

1 . تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر (د.ت):68/1.

2 . التوبة:119.

3 . رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع الصلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم: 139.

4 . الانشقاق: 8.

5 . أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه برقم: 103، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب برقم: 2876.

قال الشافعي رحمه الله: "كل ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن"[1].

ومن الأمثلة على ذلك ما أخرجه الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾[2] عمدتُ إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتُهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرتُ له ذلك، فقال: (إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار)[3].

وقد يقال بأن هذا من قبيل تفسير القرآن بالسنة، فقد قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل لما بيَّن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في تبيين القرآن للناس؛ ختم الآية بقوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وفي هذا دليل على أن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينافي تدبر الآيات، والتفكر فيها، والغوص في معانيها لاستنباط وجوه جديدة من البيان.

إن تفسير القرآن الكريم على وجه القطع لا يُعلم إلا في آيات قلائل، لأن العلم بالمراد يُستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ) [1] ولو بيّن النبي صلى الله عليه وسلم جميع معاني القرآن ما كان لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء من فائدة.

---

1. مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، الطبعة الثانية، 1392هـ 1972م: 93.
2. البقرة: 187.
3. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين.. ) برقم: 1817، ومسلم في كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم:1090.
4. النحل:44.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما " أخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً هكذا أمامه، فقال: هذا سبيل الله عز وجل، وخطيْن عن يمينه، وخطيْن عن شماله، وقال: هذه سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2] الآية"[3].

وفي هذا الحديث من الأساليب الجديدة والمتَّبعة حديثاً حيث استخدم النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره وسائل الإيضاح التعليمية لبيان معنى الصراط المستقيم.

ومن ذلك استخدامه عليه الصلاة والسلام للتشبيهات البلاغية والتي تقرب معنى الآية لذهن القارىء، كبيانه صلى الله عليه وسلم لـ(سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى) فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث مالك بن صعصعة قصة المعراج وفيه: (ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قال: هذه سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى)[4].

وكان يفسر صلى الله عليه وسلم ما يشكل على بعض الصحابة فهمُه، ومن ذلك ما "أخرجه أحمد عن عبدالله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك على الناس فقالوا: يارسول الله وأيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5] إنما هو الشرك "[6].

---

1. رواه أحمد في مسند عبد الله بن عباس برقم:2393.
2. الأنعام:153.
3. رواه أحمد في المسند، برقم: 14977.
4. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، برقم 3674.
5. لقمان:13.
6. رواه أحمد في المسند، برقم:3578.

ومن ذلك أيضاً ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن ﴿المغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ اليهود، وإن ﴿الضَّالِّينَ﴾ النصارى"[1] .

وشاهِدُ ذلك قولُه تعالى في اليهود: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[2] وفي النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[3].

وينبغي التنبه أنه يلحقهم في هذا الوصف من اتصف بصفاتهم وتخلق بأخلاقهم، واليهود أسوأ حالاً من النصارى، وقد عقد الألوسي في تفسيره روح المعاني؛ مقارنة بينهما ومما ذكر من ذلك ما يلي:

1. اليهود أشد في الكفر والعناد وأعظم في الخبث والفساد، ولذا قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[4] والنصارى دون ذلك.

2 . أنهم كفروا بنبيَّيْن محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام، والنصارى كفروا بنبي واحد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفضائحهم وفظائعهم أكثر مما عند النصارى، ومن أخص أسباب وصف اليهود بالغضب كونهم قد فسدوا بعد علم، والنصارى فسدوا عن جهل فوصفوا بالضلال.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن أيضاً بطريق السؤال ليتمكن الجواب في نفس السامع أيَّما تمكُّن كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[5] .

---

1 . رواه أحمد في مسند عدي بن حاتم برقم:18891.
2 . البقرة:90.
3 . المائدة:77.
4 . المائدة:82.
5 . يس:38.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول:" ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[2] ألا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي "[3].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[4] قال : "عدلاً"[5].

ويدخل في تفسير القرآن بالسنة ما يسمى بالأحاديث القدسية ففيها تفسير كثير للقرآن الكريم.

**المبحث الثالث: معرفة أسباب النزول والمناسبات والوقائع**، وتعد من القواعد المهمة في تدبر القرآن الكريم، لأن كثيراً من الآيات ارتبط نزولها بمناسبات ووقائع معينة، ولا يمكن أن تفهم إلا بمعرفة الأسباب والمناسبات والوقائع التي نزلت لمعالجتها، حتى لا يقال . مثلاً . إن حادثة الفيل سبب لنزول سورة الفيل، مع أن السورة نزلت من أجل التذكير بها.

ويرى بعض الناس أنه لا فائدة في معرفة أسباب النزول، فهي مجرد تاريخ يذكر فلا جدوى من ذكرها والاهتمام بدراستها ، ولكن هذا الرأي ليس بصواب، وذلك لأن لأسباب النزول فوائد جمة، مَن تدبَّرها عِلِم أهميتَها، فمن فوائدها أنها تعين على معرفة وجه الحِكْمة الباعثة على التشريع، وهذه فائدة عزيزة يحتاجها الفقيه كثيراً.

---

1 . يس:38، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر برقم: 3027.

2 . الأنفال:60.

3 . رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، برقم:1917.

4 . البقرة:143.

5 . رواه أحمد في المسند، برقم 11052.

قال الواحدي عن أسباب النزول: " إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف إلى قصتها وبيان نزولها "[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[2].

وقال ابن دقيق العيد:"معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[3].

فأسباب النزول ومناسباتها تزيل اللبس والإشكال الوارد على الآية مثال ذلك:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[4].

فقد فهم عروة بن الزبير عدم فرضية السعي بين الصفا والمروة، لأن نفي الجُناح يُفهَم منه عدم التكليف، فسأل عن هذا خالتَه أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فبيَّنت له أن الأمر ليس كما فَهِم، واستدلَّتْ على ذلك بسبب نزول الآية، وهو ما رواه عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: "سألت عائشة رضي الله عنها: ( أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[5] الآية فوالله ما على أحدٍ جُناح ألا يطوف بالصفا والمروة، قالت: (بئسما قلتَ يا ابن أختي، إن هذه لو كانت على ما أوَّلتَها كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أُنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يُسلِموا يهلُّون "لمناة" الطاغية التي كانوا يعبدونها عند "المشَلَّل" وكان مَن أهلَّ لها يتحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا: يا رسول الله إنْ كنا نتحرَّج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ

---

1 . أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى1411 هـ-1991م:5.

2 . مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد، 1425هـ 2004م: 339/13.

3 . منهج الفرقان في علوم القرآن، محمد علي سلامة، مطبعة شبرا، القاهرة، 1938م:36/1.

4 . البقرة : 158.

5 . البقرة : 158.

شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية، قالت عائشة: "وقد سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما) [1].

فبالرجوع إلى سبب نزول الآية زال الإشكال عنها؛ والذي أدى إلى فهْمِ عدمِ شرعيةِ السعي، وأنَّ مَن ترَكَه لا إثم عليه، والأمر خلاف هذا فليس لأحد أن يترك السعي بينهما كما دل على ذلك سبب النزول.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] فالقارئ لهذه الآية الكريمة يشكُل عليه نفي البِر في إتيان البيوت من الخلف؛ لأنه لا يعرف أن أحداً يرى أن في إتيان البيوت من الخلف بِراً – أي خيراً – ولكنه إذا رجع إلى سبب النزول وعرف أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يأتون بيوتهم إلا من الخلف، ويرون أن في ذلك بِراً، وقد عابوا رجلاً حجَّ ودخل بيتَه من بابه، فنزلت هذه الآية تنفي ما اعتقدوه، وأثبت أن البر والخير في تقوى الله، لا في إتيان البيوت من ظهورها كما اعتقدوا، بل عليهم أن يأتوا البيوت من أبوابها.

فعن البراء رضي الله عنه قال: "نزلت هذه الآية فينا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا لا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابه، فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[3] فبالرجوع إلى سبب النزول زال الإشكال.

وعلم أسباب النزول تزيل الإشكال في فهم معاني الآيات، ففي عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أشكل على بعض الصحابة فهم قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا

1 . رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، برقم:1561.

2 . البقرة: 189.

3 . البقرة: 189، والحديث في صحيح البخاري كتاب العمرة باب قول الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها برقم: 1709.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] هذه الآية أشكلت على جماعة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانوا يرون أن الخمر مباحة ويحتجون بالآية، ولكن عمر بن الخطاب عارضهم في ذلك، وردَّ ابن عباس عليهم بسبب نزول الآية.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب، فأمر به أن يُجلَد فقال: لِمَ تجلدُني؟ بيني وبينك كتاب الله، فقال عمر: وأي كتابِ الله تجد أن لا أجلدك؟ فقال له: إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾[2] الآية، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين، شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحداً والخندق والمشاهد، فقال عمر: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلت عذراً للماضين، وحجة على المنافقين؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾[3] الآية، ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنَّ الله قد نهاه أن يشرب الخمر، فقال عمر رضي الله عنه: صدقتَ، ماذا ترون؟ قال علي رضي الله عنه: إنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر به عمر فجُلِد ثمانين جلدة "[4].

---

1 . المائدة: 93.

2 . المائدة: 93.

3 . المائدة: 90.

4 . رواه الدارقطني في سننه، كتاب الحدود: 3 / 166 ، وتفسير القرطبي: 6 / 298 ، وذكر في رواية الحميدي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اسم هذا الرجل " قدامة بن مظعون الجمحي صهر عمر بن الخطاب وواليه على البحرين ".

وروى الترمذي عن البراء رضي الله عنه قال : "مات رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر، قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون الخمر، فنزلت الآية "[1].

فسبب نزول الآية قد أزال الإشكال عنها، حيث خصها بمن مات من الصحابة وهم يشربون الخمر قبل تحريمها، وبه ردَّ ابن عباس على من أخطأ في فهم الآية، فلولا سبب النزول لبقي هؤلاء على خطئهم حيث فهموا من الآية العموم.

ومن فوائد أسباب النزول أنها تعين على معرفة الحِكمة التي من أجلها شُرِع الحُكم، وذلك أن سبب النزول يحكي الملابسات والظروف والأوضاع التي كان الناس عليها قبل تشريع الحكم، فبالرجوع إليه نتعرف على الحِكمة التي قصدها الشارع ، ومن الأمثلة على ذلك:

ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تُحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش – والحش البستان – فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر، قال: فأكلتُ وشربتُ معهم، قال: فذكرتُ الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلتُ: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أَحَدَ لِحْيَي الرأس فضربني به فجرح أنفي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيَّ – يعني نفسه – شأن الخمر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

1 . رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر، برقم 2996، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

2 . المائدة: 90، والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب ارم فداك أبي وأمي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط، رقم: 1748.

فبالرجوع إلى أسباب نزول هذه الآية تبينت الحِكمة العظيمة من تشريع هذا الحُكم، لأن الخمر تُسَبِّبُ أضراراً كثيرة ومفاسد عظيمة، ومن ضمنها ما حدث بين الصحابة من اعتداء بعضهم على بعض لما شربوها.

فلولا أسباب النزول ما اهتدينا إلى هذه الحِكم النافعة على وجه التفصيل، ومعرفة هذه الحِكم تزيد المؤمن إيماناً وثقة في دينه، وما شرعه الله له من الأحكام النافعة المبنية على مقاصد عظيمة، وترغب الكافر في الإيمان إذا تبين له سمو التشريع الإسلامي ويسره وسهولته، وما اشتمل عليه من المنافع والمصالح والمقاصد الحسنة، وكثير من الناس قد أدهشهم ذلك، فكان سبباً في إيمانهم.

وربما يلتبس على بعض الدارسين التفسير على القياس بأسباب النزول، وهو موجود في تفاسير بعض السلف، ومن أمثلتِه، ما ذكره الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن قائلاً: "ورد عن أبي أمامة في قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[1] قال: هم الخوارج".

فالمفسّر انتزع هذا المقطع من الآيةِ، ونزّله على الخوارجِ الذين لم يكونوا عند نزولِ هذه الآياتِ، وإنما جاءوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، وإذا نظرتَ إلى سياقِ الآيةِ، وجدتَ أنه في الحديثِ عن بني إسرائيل، وأنهم هم الموصوفون بهذا الوصف، لكن المفسّر أراد أنْ يُنبِّه إلى دخولِ الخوارجِ في حكمِ هذا المقطع من الآيةِ، وأنهم مثالٌ لقومٍ مالوا عن الحقِّ، فأمالَ اللهُ قلوبهم جزاءً وفاقاً لميلِهم، وتنْزيل ذلك المقطع من الآية على الخوارجِ إنما هو على سبيلِ القياسِ بأمرِ بني إسرائيل، وليس مراده أنهم هم سبب نزولها.

قال الإمام الشاطبي: "...كما قاله القاضي إسماعيل – في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[2] بعد ما حكى أنها نزلت في الخوارج –: وكأنَّ القائل بالتخصيص، والله أعلم، لم يقل به بالقصد

---

1. الصف: 5.
2. الأنعام: 159.

الأول، بل أتى بمثال مما تتضمنه الآية؛ كالمثال المذكور، فإنه موافق لما قال، مشتهراً (كذا) في ذلك الزمان، فهو أولى ما يمثل به، ويبقى ما عداه مسكوتاً عن ذكره عند القائل به، ولو سئل عن العموم لقال به ... وهكذا ينبغي أن تفهم أقوال المفسرين المتقدمين، وهو الأولَى لمناصبهم في العلم، ومراتبهم في فهم الكتاب والسنة"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

قال ابن عطيَّةَ : "وأما تفسير الآية بقصة عبد الله بن أبي السرح، فينبغي أن يُحرَّرَ، فإن جُلبتْ قصةُ عبد الله بن أبي السرح على أنها مثالٌ، كما يمكن أن تُجْلَبَ أمثلةٌ في عصرنا من ذلك، فحسنٌ.

وإن جُلبت على أنَّ الآية نزلت في ذلك، فخطأٌ؛ لأنَّ ابن أبي السرحِ إنما تبيَّن أمره في يوم فتح مكة، وهذه الآية نزلت عَقِيبَ بدرٍ"[3].

ولا يلزمُ من تنْزيلِ الحكمِ بشيءٍ من أوصافِ الكفارِ على أحدِ العصاةِ، أنه مُتَّصفٌ بكاملِ أوصاف الكفارِ، وإلاَّ لكان الكلامُ عن الكفار، لا عن المؤمنين.

والأمثلة على أثر أسباب النزول في تفسير القرآن كثيرة وقد اكتفيت بما تقدم رغبة في الاختصار.

**المبحث الرابع: إنزال القرآن على واقع الأمة وقضاياها،** ونعني بذلك أن القرآن الكريم لم ينزل لزمان معين ولا لمكان معين، بل نزل صالحاً للعمل به وتطبيقه في كل زمان ومكان، وهو لا يفهم حياً غضاً طرياً إلا بإنزاله على واقع الأمة وقضاياها، فلكل زمان كفاره ومنافقوه، ولكل مكان فراعنته وظالموه، لذا كان من الخطأ والزلل إنزال القرآن على غير منازله، فمن أنزل آيات المؤمنين على الكافرين أوالعكس، أو جعل المؤمنين الصالحين منافقين كافرين؛ فقد ضل سواء السبيل.

---

1 . الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبيّ، تحقيق: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى (د.ت): 1:103.

2 . الأنفال: 71.

3 . تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم (د. ت): 819-820.

وخصيصة إنزال القرآن على الواقع هذه؛ تفرَّد بها طائفة من العلماء دون عامة أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيراً. وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] أي: استنباطات أهل التأمل من العلماء بالقرآن ووقائع الأمور من الأمن أو الخوف.

أما حين يتصدَّر للحكم على الوقائع أهل الأهواء يحصل عند ذلك الخلط والجهل، ومن تأمل تاريخ المسلمين رأى عامة أهل البدع على غير هدى، كالخوارج الذين نزَّلوا آيات الكفار على المؤمنين، وكالرافضة في التلاعب بآيات القرآن وتقسيمها بأهوائهم بين أهل البيت وبقية الصحابة.

ولعل واقع المسلمين اليوم وما هم فيه من وضع لا يحسدون عليه، ما يشير إلى أن السبب من وراء ذلك كله هو الجهل بمنهج التدبر، والخطأ في ربطها بالواقع.

إن كثيراً ما نقرأ القرآن الكريم ونغفل عن ربطه بواقع حياتنا، ونفصل بينه وبين أعمالنا، وننسى تطبيقه على أحوالنا، وتبعاً لذلك فقد وجد في المسلمين من يقرأ القرآن طلباً لبركته فقط دون أن يفهم معانيه، ووجد من يقرؤه هذّاً بلسانه، ولا يعقل سوى مبانيه، وأسوأ منه من يقرؤه على أنه ماض انتهى، وحكايات تتلى لا علاقة لها بواقعه وأحواله.

قال ابن القيم: "ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته — أي القرآن – وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خَلَوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن "[2].

1. النساء: 82-83.

2. مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، المكتب الثقافي، القاهرة (د.ت): 289/1.

لقد عني أهل العلم قديماً وحديثاً بتدبر القرآن العظيم وتأمل آياته، والوقوف عند أحكامه وتوجيهاته، واستنباط العلاقة بين الواقع وحكمه وهداياته، وكان من الأئمة الأعلام، والعلماء الكرام، الذين عاشوا حياتهم بالقرآن ومع القرآن فقهاً وفهماً، وتدبراً وعلماً، وتطبيقاً وعملاً.

فخطاب القرآن عام لمن بلغه، ومتناول لمن أتى بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي سورة التكاثر، أورد ابن القيم قول من قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [1] إنه خاص بالكفار، ورد عليه بما صحَّ في السنة النبوية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (والذي نفسي بيديه لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة) [2] علَّق ابن القيم فقال:

" فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار، وأيضاً فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيراً، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر. وخطاب القرآن عامٌّ لمن بلغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين، وإن نازع فيه من لا يُعتدُّ بقوله من المتأخرين.

فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3] ونظائره، كما دخل تحته الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ بالضرورة المعلومة من الدين"[4].

---

1 . التكاثر:8.

2 . رواه مسلم في صحيحه،كتاب الأشربة – باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام، برقم: 3799.

3 . البقرة:183.

4 . بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1414 هـ:317/5.

ولما ولي ابن العربي القضاء، أجرى أحكامه على أصول الشريعة، والسنن المرعية، وناهض الجهال، والأغمار، وقضاة الجور، ومن صنائعه المحمودة في هذا الباب: أنه أحيى سنة ثابتة كاد أن يندثر رسمها في الأندلس، وهي بعث الحَكمين إلى الزوجين المتخاصمين، فلما وقف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾[1] قال:

" وهي من الآيات الأصول في الشريعة، ولم نجد لها في بلادنا أثراً، بل ليتهم يرسلون إلى الأمينة[2] فلا بكتاب الله ائتمروا، ولا بالأقيسة احتَذوا، وقد ندبت إلى ذلك فما أجابني إلى بعث الحَكمين عند الشقاق إلا قاضٍ واحد، ولا إلى القضاء باليمين مع الشاهد إلا قاضٍ آخر، فلما ولاّني الله الأمر أجريتُ السنة كما ينبغي، وأرسلتُ الحَكمين، وقمتُ في مسائل الشريعة كما علمني الله سبحانه من الحكمة والأدب لأهل بلدنا لما غمرهم من الجهالة"[3].

ففي هذا الموضع قارن الإمام ابن العربي بين واقعه وبين الحكم الشرعي المنصوص عليه في الآية، وبيَّن مخالفة قضاة عصره لهذا التوجيه القرآني الكريم، ومن ثَمَّ ذكر تطبيقه للحكم في عصره.

ولما مرَّ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[4] أنكر على أهل زمانه إخلالهم بالخشوع في الصلاة، وانشغالهم بأحوال غيرهم، فقال: " صليت المغرب ليلة .. ومعنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي الزاهد، فلما سلمنا تمارى رجلان كانا عن يمين أبي عبد الله المغربي، وجعل أحدهما يقول للآخر: أسأت صلاتك، ونقرت نقر الغراب، والآخر يقول له: كذبت بل أحسنت وأجملت، فقال المعترض لأبي عبد الله الزاهد: ألم يكن إلى

---

1 . النساء: 35.

2 . أي: يجعلان على يدي أمين (كما في القرطبي): 117/5.

3 . أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة 1424هـ 2003م: 537/1.

4 . المؤمنون: 2.

جانبك فكيف رأيته يصلي؟ فقال أبو عبد الله: لا علم لي به، كنت مشغولاً بنفسي وصلاتي عن الناس وصلاتهم، فخجل الرجل وأعجب الحاضرون بالقول.

وصدق شيخنا أبو عبد الله الزاهد، لو كان لصلاته قدر، أو له بها شغل وإقبال بالكلية لما علم مَن عن يمينه، أوعن شماله، فضلاً عن معرفته كيفية صلاته "[1].

وذكر أبو حيان في البحر المحيط عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2] ما يلي:

" أي متوانين لا نشاط لهم فيها؛ لأنهم إنما يصلُّون تستراً وتكلفاً، وينبغي للمؤمن أن يتحرز من هذه الخصلة التي ذُمَّ بها المنافقون، وأن يقبل إلى صلاته بنشاط وفراغ قلب وتمهل في فعلها ولا يتقاعس عنها فعْلَ المنافق الذي يصلي على كره لا عن طيب نفس ورغبة، ومازال في كل عصر منافقون يتسترون بالإسلام ويحضرون الصلوات كالمتفلسفين الموجودين في عصرنا هذا "[3].

وعند قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ... ﴾[4] الآيات [المؤمنون:74-68].

قال ابن القيم: " والناصح لنفسه العامل على نجاتها: يتدبر هذه الآيات حق تدبرها، ويتأملها حق تأملها، وينزلها على الواقع، فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا، فالحديث لك واسمعي يا جارة، والله المستعان"[5].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1] قال ابن القيم:

---

1. أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي:3/313- 314.
2. النساء: 142.
3. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية 1403 هـ: 3/393.
4. المؤمنون: 68 - 69.
5. مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية: 2/118.

" فمن تدبر هذه الآيات ونزّلها على الواقع تبين له حقيقة الحال، وعلم من أي الحزبين هو، والله المستعان"[2].

**الخاتمة: (نسأل الله حُسْنَها)**

إن فهم القرآن وتدبره مواهب من الكريم الوهاب، يعطيها لمن صدق في طلبها وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد، أما المتكئ على أريكته المشتغل بشهوات الدنيا ويريد فهم القرآن؛ فهيهات هيهات ولو تمنى على الله الأماني.

أما من أخذ بهذه القواعد وأمثالها؛ فإنه سيجد بإذن الله تعالى أن معاني القرآن تتدفق عليه، حتى ربما يمضي عليه وقت طويل لا يستطيع تجاوز آية واحدة من كثرة المعاني التي تفتح عليه، وقد حصل هذا للسلف الصالح من قبلنا والأخبار في هذا كثيرة مشهورة.

قال سهل بن عبد الله التستري: " لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه لأنه كلام الله وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه .. وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه وكلام الله غير مخلوق ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة "[3]

والواقع يشهد بصحة هذا الكلام، فإن الناس متفاوتون في فهمهم وإداركهم لآيات القرآن الكريم وتنزيلها على أمور حياتهم، وقد ينفتح لامرئٍ فهمٌ لبعض الآيات ويتأثر بها، ويأتي في وقت آخر يقف أمام الآية نفسها وقد أغلقت دونه، فسبحان الله! إنه كلام الله، لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلَق على كثرة الرد.

فمن استعمل هذه القواعد في التدبر كمن استعمل منظاراً لتقريب وتكبير الصور، فبهذه القواعد تكبر المعاني في نظر المتدبِّر وتزداد عمقاً وزخماً، ويغزر فهمه لمضامينها فينتبه إلى معان وألفاظ لم يكن يدركها من قبل.

---

1. المؤمنون:53.
2. بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية: 233/3.
3. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د.ت): 9.

فتذوَّق – أخي الكريم – ألذَّ وأطيب ما في القرآن الكريم؛ من المعاني والكنوز مستعيناً بهذه القواعد وغيرها تَنْعُم بنعيم مقيم، وتحوز على كنوز القرآن التي بها فتحت للسلف الصالح كنوز الأرض وخيراتها فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

**النتائج التي توصل إليها الباحث:**

بعد هذه السياحة الماتعة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1. أن التدبر هو النظر في عواقب الأمور والتفكر فيه، ومعاني ألفاظ القرآن الكريم تُفهَم من خلال التدبر، وهو وسيلة لزيادة التقوى والإيمان.

2. يستحق أن يكون التدبر علماً مستقلاً بذاته؛ منفصلاً عن علوم القرآن، بل من العلوم المعاصرة التي التي تُفرَد لها المؤلفات والكتابات الخاصة، كما يستحق أن تنشأ له المؤسسات التربوية.

3. أن من القواعد الأساسية للتدبر معرفة لغة العرب وأساليبهم البيانية، لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وبلسانهم، وهو لا يفهم إلا بفهم ما به نزل، ولن يؤتي التدبر أُكُلَه، وتنضج ثمرته، إلا إذا اعتنى المتدبِّر باللغة التي نزل بها هذا القرآن الكريم.

4. أن من قواعد التدبر دراسة سنته وسيرته صلى الله عليه وسلم، لأنه كان الترجمان الحقيقي للقرآن الكريم، فهو المبيِّن لمجمله، والموضِّح لمشكله، بل كانت حياته كلها قولاً وفعلاً وإقراراً من حين مبعثه إلى وفاته بياناً لهذا القرآن.

5. أن من القواعد الأساسية لتدبر القرآن؛ معرفة أسباب النزول والمناسبات والوقائع التي نزلت لمعالجتها؛ إذ هي التي تعين على معرفة وجه الحِكْمة الباعثة على التشريع.

6 . أن من القواعد المهمة لتدبر القرآن الكريم هي إنزاله على واقع الأمة وقضاياها، لأنه نزل صالحاً للعمل به وتطبيقه في كل زمان ومكان، فلكل زمان كفاره ومنافقوه، ولكل مكان فراعنته وظالموه، إلا أن هذه الخصيصة تفرَّد بها طائفة من العلماء دون عامة أهل العلم.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يرعى هذا القرآن حق رعايته، ويتدبره حق تدبره، وأن يهدينا لأعلامه الظاهرة، وأحكامه الباهرة، وأن يجمع لنا به خيرَيْ الدنيا والآخرة، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

**المصادر والمراجع:**


1 . القرآن الكريم.

2 . أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة 1424هـ 2003م.

3 . أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ1991م.

4 . الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبيّ، تحقيق: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى (د.ت).

5 . اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، (د.ت).

6 . البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية 1403 هـ.

7 . بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1414 هـ.

8 . البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د.ت).

9 . تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، 1393هـ 1972م.

10 . التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، طبعة 1985م، بيروت.

11 . تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم (د. ت).

12 . تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، 1984م.

13 . تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد البغدادي الصوفي، دار الفكر، بيروت 1399 هـ 1979 م.

14 . تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر (د.ت).

15 . تيسير التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1350هـ.

16 . الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد بن احمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي وغيره، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى 1427هـ 2006م.

17 . درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية، 1411هـ 1991م.

18 . الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى 1425هـ،2005م.

19 . زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة 1418هـ 1998م.

20 . طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو وغيره، دار إحياء الكتب العربية (د.ت).

21. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي (د.ت).

22. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة (د. ت).

23. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة 1430هـ 2009م.

24. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: أحمد عادل وغيره، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1418هـ 1998م.

25. لسان العرب، محمد بن مكرم المشهور بابن منظور، دار صادر بيروت (د.ت).

26. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد، 1425هـ 2004م.

27. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف بتفسير ابن عطية الأندلسي، طبعة دار ابن حزم بجدة 1423هـ.

28. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وغيره، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، 1377هـ 1958م.

29. مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، 1398م.

30. مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، المكتب الثقافي، القاهرة (د.ت).

31. المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، عصام بن صالح العويد، مركز التدبر للاستشارات التربية والتعليمية، الرياض، الطبعة الأولى 1430هـ2009م.

32. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1408هـ 1988م.

33. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر (د.ت).

34. مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم وغيره، دار زمزم (د.ت).

35. مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، الطبعة الثانية، 1392هـ 1972م.

36. منهج الفرقان فى علوم القرآن، محمد علي سلامة، مطبعة شبرا، القاهرة، 1938م.

**الشبكة العنكبوتية:**

37. موقع المسلم: http://www.almoslim.net/node/139579